

## الدرس الأول :

### إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة

روى الشيخان: البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان: فُتِّحت أبواب الجنة، وغُلِّقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية للإمام مسلم: «فُتِّحت أبواب الرحمة، وغُلِّقت أبواب جهنم، وسُلسلت الشياطين»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية لابن خزيمة في صحيحه: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان: صُفِّدت الشياطين ومُرِّدة الجن، وغُلِّقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب، وينادي منادي: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر. والله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»<sup>(٣)</sup>.

### رمضان متجر أهل الإيمان :

هذا هو شهر رمضان، شهر تكثُر فيه أسباب الخير، وتقلُّ فيه أسباب الشر، تُفتح أبواب الرحمة، وأبواب الجنة، أي: تكثُر الدواعي إلى الخيرات وإلى الطاعات، وتقلُّ الدواعي إلى الشر، وهو ما كُنِيَ عنه بتضييق أبواب النار، وتقييد الشياطين، وتصفيدها بالسلاسل والأغلال.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) واللفظ له، كلاهما في الصيام، كما رواه أحمد (٨٦٨٤)، والنسائي في الصيام (٢٠٩٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الصيام (١٠٧٩)، وأحمد (٧٧٨٠)، والنسائي في الصيام (٢١٠٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وابن خزيمة (١٨٨٢)، وابن حبان (٣٤٣٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي، والحاكم (٤٢١/١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، والبيهقي في الكبرى (٣٠٣/٤)، كلهم في الصوم، عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣٣١).

إنَّ الله سبحانه وتعالى ، يتيح لعباده ما بين حين وآخر ، فرصاً كثيرة ، يتقربون فيها إليه ، ويقترّبون فيها من ساحته ، إنه سبحانه وتعالى يناديهم من بعيد ، ويتلقاهم من قريب . إذا اقتربوا منه شبراً ، اقترب منهم ذراعاً ، وإذا اقتربوا إليه ذراعاً اقترب إليهم باعاً ، وإذا أتوه يمشون أتاهم هرولة<sup>(١)</sup> .

إنه سبحانه وتعالى يناديهم في كل حين ، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أن يقفوا على بابهِ ، وأن يتمسّحوا بأعتابه ، وأن يقرّعوا باب التوبة ، مستغفرين قائلين ما قال أبوهم آدم ، وأمهم حواء : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٢٣) .

(١) إشارة إلى الحديث القدسي : « . . . وإن تقرب إلي شبراً تقرّبت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقرّبت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة . متفق عليه : رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥) ، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٥) ، كما رواه أحمد (٧٤٢٢) ، والترمذي في الدعوات (٣٦٠٦) ، وابن ماجه في الأدب (٣٨٢٢) ، عن أبي هريرة .

والباع : قدّر اليدين مفتوحتين والصدر بينهما .  
والهرولة : بين المشي والعدو - أي : الركض - وهو كناية عن سرعة إجابة الله تعالى ، وقبول توبة العبد . كما قال ابن الأثير في « النهاية » ٥ : ٢٦١ وفي هذا القول الكريم « وإن تقرب مني شبراً : تقرّبت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً : تقرّبت إليه باعاً » عظيم فضل الله ولطفه وكرمه على عباده المقبلين عليه بالتوبة . ونقل الإمام الترمذي رحمه الله تفسيره - عقب روايته له - عن الأعمش أحد رواة هذا الحديث ، وهو إمام مشهور بالقراءات ورواية الحديث ، توفي سنة بضع وأربعين ومئة ، قال : « ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث . « من تقرب مني شبراً تقرّبت منه ذراعاً » يعني بالمغفرة والرحمة ، وهكذا فسّر بعض أهل العلم الحديث ، قالوا : إنما معناه : يقول : إذا تقرب إلي العبد بطاعتي وبما أمرت تسارعُ إليه مغفرتي ورحمتي . ونحو هذا التفسير قول قتادة عقب روايته للحديث : « فالله أسرع بالمغفرة » كما في « المسند » ٣ : ١٣٨ ، وتوفي قتادة قبل الأعمش بنحو ثلاثين سنة .

وقال النووي في « شرح مسلم » ١٧ : ٣ « وهذا الحديث من أحاديث الصفات ، ويستحيل إرادة ظاهره ، ومعناه : من تقرب إلي بطاعتي تقرّبت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة ، وإن زاد : زد ، فإن أتاني بمشي وأسرع في طاعتي : أتيته هرولةً ، أي : صببت عليه الرحمة وسبقته بها ، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود . والمراد : أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربيه » .

## تنوع الطاعات وتعدد الفرص :

في كل يوم فرص للقربى من الله عز وجل ، كما في الصلوات الخمس ، التي هي معراج المؤمن ، معراج يومي إلى الله سبحانه وتعالى ، حيث يقف المسلم بين يدي ربه في اليوم مرات خمساً ، يقف بين يدي الله يُناجيه ، فيُناجي قريباً غير بعيد ، ويسأله ، فيسأل كريماً غير بخيل ، ويستعين به ، فيستعين بقوي غير ضعيف ، وعزيز غير ذليل : ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة: ٥) ، فرص يومية للتقرب والتطهر .

وفرص أسبوعية تتمثل في يوم الجمعة ، وصلاة الجمعة .

## الفرصة السنوية في مدرسة رمضان :

ثم فرصة سنوية تتمثل في هذا الشهر الكريم ، في هذه المدرسة التي يفتحها الإسلام كل سنة للمسلم ، يتعلم فيها ويتدرّب ، ويتربّى على حسن العبودية لله ، على القيام بذكر الله تعالى وشكره ، وحسن عبادته ، يتعلم فيها الصبر ، ويتعلم فيها قوة الإرادة ، يتعلم فيها كيف يعامل ربه ، وكيف يثق نفسه ، وكيف يستعلي على تراب الأرض ، حينما يتطلّع إلى روحانية السماء .

إن رمضان تُفتح فيه أبواب الجنة ، وأبواب الخير ، وتُغلق فيه أبواب جهنم ، وأبواب الشر ، وتُصفّد الشياطين ، وينادي المنادي كل يوم : يا باغي الخير أقبل وأبشر ، يا طالب الخير ، أمامك الفرص متاحة ، وأمامك الأبواب مُفتحة . أمامك الشهر من تقرب فيه بنافلة كان كمن أدى فريضة في غيره ، ومن تقرب فيه بفريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه<sup>(١)</sup> .

شهر تزداد فيه الحسنات ، وتضاعف فيه أجور الطاعات ، شهر من استطاع فيه أن يكسب فليكسب ، ومن استطاع فيه أن يربح فليربح ، والربح هنا ليس درهماً

(١) إشارة إلى حديث سلمان الذي أشرنا في المقدمة إلى ضعفه : « ... من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه . . . » ، وسيأتي تخريجه ص ٢٥ .

ولا ديناراً : إنه مغفرة وجنة ، مغفرة من الله للذنوب ، وتكفير للخطايا ، « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(١)</sup> ، « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(٢)</sup> .

**معنى : « إيماناً واحتساباً »**

ومعنى الإيمان والاحتساب : أنه لا يصوم لمجرد أتباع العادة ، أو لمجرد الخجل من الناس ، ولا يقوم لمجرد أنه يفعل كما يفعل غيره ، وإنما صيامه وقيامه إيمان وتصديق بوعد الله ، وطلب للمثوبة والأجر من الله وحده ، هذا معنى الإيمان والاحتساب . . . من صام إيماناً واحتساباً خرج بمغفرة لذنوبه ، خرج من هذا الشهر كيوم ولدته أمه ، وُلد ميلاداً جديداً ، متطهراً متحرراً من الآثام والخطايا . . .

**يا باغي الخير أقبل :**

فرصة يتيحها الإسلام للمسلم كل عام في هذا الشهر الكريم ، يناديه المنادي من قِبَل السماء : يا باغي الخير ، يا طالب الخير ، أقبل وأبشر ، ويا طالب الشر أقصر ، كفى ما فات . . . كفاك أحد عشر شهراً غفلة عن الله ، كفاك غرقاً في لُجّة الحياة . . . انتشل نفسك من هوة الحياة الدنيا ، وارتفع إلى الحياة العليا ، ضع يدك في يد الله ، اعقد بينك وبين الله صلحاً ، أكثر من الذكر والشكر والتسبيح والتهليل والتكبير . . . يوصي النبي ﷺ أمته في هذا الشهر ، فيقول فيما يُروى عنه : « استكثروا فيه من أربع خصال : خصلتان ترضون بهما ربكم ، وخصلتان لا غناء بكم عنهما ، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : شهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه . (التهليل والاستغفار) ، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما : فسألون الله الجنة ، وتعودون به من النار »<sup>(٣)</sup> .

(١) سيأتي تخريجه وشرحه في الدرس السادس والعشرين ص ٢٠٦ .

(٢) سيأتي تخريجه وشرحه في الدرس السادس والعشرين ص ٢٠٦ .

(٣) سيأتي تخريجه وشرحه في الدرس السادس الثالث ص ٢٥ .

هذه هي الفرص التي يتيحها الإسلام للمسلم في شهر رمضان ، يستكثر من الذكر والشكر وحسن العبادة ، بحيث يزيد من رصيده عند ربه ، ويعوّض ما فاته من غفلات العام ، غفلات أحد عشر شهراً ، في شهر يضاعف الله فيه المثوبة ، ويضاعف فيه الأجر .

### متجر أهل الإيمان :

ولهذا كان السلف يسمون هذا الشهر : (متجر أهل الإيمان) ، موسم المتقين ، موسم يترقبونه كما يترقب تجار الدنيا مواسم الرياح ، ومواسم العمل ، ليزيد فيها النشاط ، ويضاعف فيها الجهد ، عسى أن يكسبوا بعض الدراهم أو الدنانير أو الريالات أو الدولارات أو الجنيهات . . . بعض ما يتطلع إليه الناس ويسيل إليه لعابهم في هذه الحياة ، وهو ربح مهما ظنّ الناس به ربح لا يبقى ، سيزول عن قريب وإن بقي أعواماً ، فإن الإنسان لا يبقى له ، الإنسان نفسه فإن وذهب ، وكل ما في هذه الحياة فإن وذهب . . . ﴿ قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظَلَّمُونَ فِتِيلًا ﴾ (النساء: ٧٧).

هذه هي فرصتكم أيها المسلمون ، فيا بُغاة الخير ، يا طلاب الثواب ، يا عشاق الجنة ، يا مَنْ يريدون سلعة الله الغالية . . . ها هي السوق قد فُتحت ، ها هي الفرصة قد أُتحت ، ها هي الأبواب قد فُتحت أمامكم فلجّوها ، ادخلوها ، واعملوا مع الله ، ولن يترككم الله أعمالكم .

نسأل الله عزّ وجل ، أن يفتح قلوبنا على طاعته ، وأن يُقوّي عزائمنا على عمل الخير ، وخير العمل ، وأن يجعل حظنا من هذا الشهر الكريم ، القبول والمغفرة والرحمة ، والعتق من النار ، إنه سميع قريب .

\* \* \*